المسيرة التربوية للقاضي ابي يعلى الحنبلي

بتول علاوي مطلك

ا.م.د. عبد الهادي محمود الزيدي

abdulhadi@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

الملخص

تولي الشريعة الإسلامية الغراء التعليم عناية فائقة قلّ نظيرها في الأديان والشرائع والفلسفات الاخرى، فالتعليم ضرورة هامة وظاهرة حضارية يتم من خلالها نقل المعلومات إلى مُستقبِل أو متعلم، ليكتسب عن طريق هذا التعليم الخبرات والمعارف المختلفة، بالإضافة إلى إكسابه القدرة على نقل تلك المعلومات إلى الأفراد الآخرين أي نقل العلم الى جيل آخر، وتشتمل العملية التعلمية كذلك: تعليم المهارات والمهن المختلفة أيضاً، فكل ما يحدث فيها التعلُّم سواء كانت بطريقة مقصودة أم غير مقصودة هو فعل التعليم، ويتضمن هذا الفعل نقل معرفة أو مهارة أو مهنة ما أو تحصيلها، وعبر عملية التعليم يمكن للإنسان أن يوّسع مقدرته على النظر الى مختلف الأمور، كما ويمكنه تطوير قدرته على التفكير المثمر.

وترتبط أكثر علوم الشريعة الإسلامية بمصدريها الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد أضفى التنوع في أماكن وبيئات التربية والتعليم عبر التأريخ الاسلامي جدية وكفاءة عالية، نتيجة لتنوّع الوظائف التعليمية والتربوية التي يحتاج إليها أفراد المجتمع، وكذلك تنوع وتعدد المعلمين أنفسهم، إذ يتحملون القيام بهذه المسؤولية الكبيرة لأفراد المجتمع، وبصورٍ وأشكال مختلفة، مع مراعاة ظروف ومستويات المتعلمين، ومع تقدم عملية التعليم ظهرت ضرورة قيام أجهزةٍ تربويةٍ أقوى وأوسع انتشارًا من الأجهزة القديمة، وفي مقدمتها المساجد والمرابطات العلمية كونها مراكز للتعليم والدعوة بجانب كونها أماكن للعبادة، وظهر تربيون قاموا بمهمة التعليم، بل أفنوا حياتهم في طلب العلم الشرعي وتدرسيه ونشره بين أفراد المجتمع، ومنهم العالم الرباني الجليل: أبو يعلى الحنبلي القاضي، الذي يحاول هذا البحث الاشارة الى حياته وجهوده العلمية.

وقد قسمنا البحث الى مبحثين، في كل مبحث منهما خمسة مطالب، للوصول الى مبتغى البحث، اضافة الى أهم النتائج والمصادر المعتمدة.. ومن الله التوفيق...

الكلمات المفتاحية: المسيرة التربوية، ابي يعلى الحنبلي.

The Educational Journey of Al-Qadi Abu Ya'la Al-Hanbali

Batool Alawi Mutlak

Asst. Prof. Dr. Abdulhadi Mahmoud Al-Zaidi

University of Baghdad/ College of Islamic Sciences

Abstract

Islamic Sharia gives exceptional importance to education, unmatched by other religions, laws, or philosophies. Education is a vital necessity and a civilizational phenomenon through which knowledge is transferred to a learner or recipient. This process enables the learner to acquire various experiences and sciences and develop the ability to pass this knowledge on to others, thus ensuring its transmission to future generations. Education also includes teaching skills and professions, and every form of learning—whether intentional or unintentional—is part of the educational process. Through this, individuals gain knowledge, skills, or professional competencies, and expand their ability to perceive various matters and enhance their capacity for productive thinking.

Most Islamic sciences are deeply rooted in their two primary sources: the Holy Qur'an and the noble Sunnah. Throughout Islamic history, diversity in educational settings and environments contributed to the seriousness and efficiency of learning due to the variety of educational and social functions needed by society, as well as the diversity of educators themselves, who bore great responsibility for guiding individuals across different circumstances and learning levels

As education evolved, the need for more robust and widespread educational institutions became evident. Foremost among these were mosques and scholarly centers (murabitāt), which served as places of worship and hubs for education and preaching. Many educators dedicated their lives to acquiring, teaching, and spreading Islamic knowledge. One such noble scholar was Al-Qadi Abu Ya'la Al-Hanbali, whose life and scholarly contributions this study aims to highlight.

The research is divided into two main sections, each comprising five topics, followed by key findings and referenced sources. May Allah grant success and guidance

Keywords: Educational distance, Abi Ya'la al-Hanbali.

المبحث الأول: الحياة الشخصية للقاضي أبي يعلى الحنبلي

المطلب الأول: إسمه ونسبه ولقبه

أولاً: إسمه ونسبه:

إسمه ونسبه: القاضي أبو يعلى الحنبلي: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء.

ثانياً: لقبه: يلقب بـ القاضي أبو يعلى البغدادي الحنبلي ولقب ابن الفراء ويعود ذلك نسبةً إلى خياطة الفراء وبيعها ولعل أحداً من أجداده أو ابوه عمل بهذه الصنعة فكانت لقباً لأبنائه وسلالته ومن السائد عند العرب اللقب بالصنعه وكذلك اشتهر بالقاضي المعروف والنزيه والأمين لاشتغاله بسلك القضاء في عصره[١].

وهناك خلاف في إسمه فقد جاءت التراجم باختلاف في اسم ابوه فذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)[٢] أنَّ اسم ابوه هو (الحسن) وهذا خطأ دلتنا عليه مجموعة من الأمور، وهي أنَّ العمدة والأساس في ترجمة سيرة القاضي ابو يعلى هما الخطيب البغدادي في كتابه (التاريخ) وابن ابو يعلى في (طبقاته) وقد ذكراه باسم الحسين وهما اقرب الناس إليه وأعرفهم به، وبشؤونه لأنَّ الخطيب البغدادي تلميذه وابن ابو يعلى تلميذه ويكفي هذا تقرباً ومعرفةً بالقاضي وكذلك صاحب كتاب (اللباب) قد صوَّب ما أخطأ فيه السمعاني في (أنسابه) حيث ذكره باسم (الحسين)[٣] وإنَّ ابن كثير عندما ترجم لوالد القاضي ابو يعلى في كتابه (البداية والنهاية) ذكره باسم (الحسين) وكذلك اسمه في الموجود .

من مؤلفاته (محمد بن الحسين) وكثير ممن ترجموا للقاضي ذكروا أنَّ اسم ابوه هو الحسين ومنهم ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) وفي كتابه (مناقب الإمام أحمد) وكذلك ابن الأثير في كتابه (الكامل) والذهبي في كتابه (العبر في خير من عبر)[٤] وأيضاً في كتابه (سير أعلام النبلاء) وكتابه (دول الإسلام) والعليمي في كتابه (المنهج الأحمد) والنابلسي في كتابه (مختصر طبقات الحنابلة).

[١] ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مطبعة الخانجي، مصر، ١٣٤٩هـ، ٢/ ٢٥٦؛ الأنساب: أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، مكتبة المثنى بغداد، ص ٤٢٠.

[٢] ينظر: البداية والنهاية: ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٣٤٨هـ، ١٢/ ٩٤.

[٣] ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين بن الأثير الجزري، مكتبة المتنبي، بغداد، ٢/ ٤١٣.

[٤] ينظر: العبر في خير من عبر: الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الكويت، ١٩٩٠م، ٣/ ٢٤٣.

المطلب الثاني: مولد القاضي أبي يعلى ونشأته

ولد القاضي ابو يعلى رحمه الله تعالى في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من شهر محرم سنة (٣٨٠ هـ) في بغداد حيث كانت بغداد آنذاك حاضرة الخلافة العباسية والعاصمة ، وفيها ترعرع ونشأ وتعلم وعلم كذلك، وقد انتهت إليه الإمامة في الفقه فكان عالم العراق في زمانه مع معرفته بعلوم القرآن والتفسير والنظر والأصول[١].

المطلب الثالث: أبناء القاضي ابو يعلى الحنبلي

كان للقاضي ابو يعلى ثلاثة أبناء قام بتربيتهم على مكارم الأخلاق والتنشئة الإسلامية الصحيحة في بيئة العالم التقي الورع الزاهد في الدنيا، مكتفياً بأقل أسباب العيش الطامع بالآخرة والمثوى الحسن، فكان لا بدَّ لأولئك الأبناء الثلاثة من أن يأخذوا عن ابوهم العلم بأصول الدين والفقه والشرع وأن يتتلمذوا على يد هذا الأب الفاضل الذي جاء إليه طلاب العلم والمعرفة من جميع أنحاء البلاد ، **وأبنائه الثلاثة هم:**

١_ أبو القاسم عبد الله: العالم التقي الورع والفقيه ولد في السابع من شهر شعبان من سنة (٣٨٠هـ)[٢]، تعلم وقرأ القرآن على يد شيوخ عصره وكان كثير القراءة والتلاوة في القرآن الكريم عارفاً بعلومه المختلفة وسمع الحديث من والده القاضي إضافة إلى جده لأمه جابر بن ياسين وتفقه على يد والده العالم التقي القاضي المعروف وكذلك على يد تلميذ والده الشريف ابو جعفر[٣]، وكان قد رحل طالباً العلم إلى البصرة والكوفة وغيرهما من الأماكن كان يشارك في مجالس النظر وكان على معرفة بأسماء الرجال والكنى وقد هاجر من بغداد إلى البلد الحرام حيث وافته المنية في الطريق.

٢_ محمد أبو الحسين القاضي الشهيد: وهو فقيه أصولي ولد ليلة النصف من شعبان قرأ على يد ابو بكر الخياط وتفقه على يد الشريف ابو جعفر وروى الحديث عن ابوه وترك مؤلفات وتصانيف كثيرة منها (طباق الحنابلة)، (المفردات في أصول الفقه)، (المجموع في الفروع)، وافته المنية قتلاً على يد لصوص أرادوا سرقة بيته ودفن في مثواه الأخير بجانب ابوه[٤].

[١] ينظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٠/ ٨٧٨.

[٢] ينظر: طبقات الحنابلة: أبو الحسن بن أبي يعلى، دار المعارف: بيروت، ١٩٨٠م، ٢/ ٢٣٥.

[٣] ينظر، ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن رجب، تحقيق، عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥م، ١/ ١٣.

[٤] ينظر: ذيل طبقات الحنابلة: مصدر سابق، ١/ ١٧٦.

_ محمد أبو خازم: وهو فقيه زاهد ولد في شهر صفر سمع الحديث من والده القاضي ابو يعلى وكان له مؤلفات مفيدة منها (التبصرة في الخلاف)، (شرح مختصر الخرقي)، توفي في بغداد سنة (٥٢٧هـ)[١].

المطلب الرابع: زهده وورعه ومحبة الناس له

من الصفات الجميلة والمحمودة للعالم هي تحليه بالتقوى والزهد والورع والإيمان والخشية من الله عز وجل وكذلك العفة والطهارة بالإضافة إلى الصبر والتحمل، ومعنى كل ذلك هو الإعراض عن الدنيا ومفاتنها ومغرياتها المختلفة والانصراف عن كل تلك المغريات والزهد بالدنيا، وهو بذلك مكتفٍ منها بما يسد الرمق ومن ناحية أخرى ليس الزاهد الورع الذي لم يمكن من الدنيا ولو مُكن منها لجاء بالعجائب، وقد كان القاضي أبو يعلى رحمه الله من النوع الأول من الزاهدين مع صلابة بالدين وجرأة في قول الحق مع حلم وتأني وصبر فلم يعرف في تاريخ ابو يعلى أنه قبل عطايا من سلطان أو حاكم أو غيرهم من الناس ولم يقف يوماً من الأيام على أبواب الحكام والسلاطين مستجدياً منهم من اجل الدنيا[٢] مع الفقر والحاجة في أحواله المعيشية، فقد كان هذا العالم الموقر في بعض الأوقات يقتات الخبز اليابس ويأكله بعد بله بالماء، ومرض بسبب ذلك، ومما يؤكد عفته وترفعه عن أمور الدنيا حين عُرض عليه منصب القضاء امتنع ولم يوافق إلا بعد الإلحاح عليه في ذلك، والشروط التي وضعها تدل على العالم النبيل العفيف الذي لا تأخذه أغراض الدنيا[٣]، وقد سبق وذكرنا تلك الشروط التي وضحت أنه غير متهافت على مطامع الدنيا وليس مفتتناً بمظاهرها ، ولم لم يكن كذلك لَما ترك تلك الفرص التي جاءته من ذهب والتي تعطي أقل الناس هالة من العظمة والجلال فكيف برجل مثله كان عالم بغداد وقاضيها، ولكن الطمع فيما عند الله عزَّ وجل والزهد بالدنيا وما فيها وكما قيل:

هذا مهل، قلت: قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما[٤]

ومن الدلائل على زهد وورعه عندما مرض الخليفة القائم بأمر الله، عندما تماثل إلى الشفاء وذهب إليه أبو يعلى لتهنئته فلما خرج من عنده أرسل إليه جائزة أو هدية وطلب من القاضي ابو يعلى قبولها لكنه أبى إباءً شديداً وامتنع عنها[٥]، مما يوضح أن كم الرجل عفيف النفس رابط الجأش ونبيل ويحمل الكثير من صفات كبرياء المؤمن التقي ، وبزهد القاضي أي يعلى وورعه

[١] ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٨٥.

[٢] ينظر: طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٢٣.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٩٩.

[٤] ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ٧/ ٢٢١.

[٥] ينظر: طبقات الحنابلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٢٣.

وفضله شهد الكثير من العلماء ومنهم ذلك الكتاب الذي أرسله إليه أبو نصر السجّزي الحافظ يقول فيه:

كتابك سيدي لما أتاني سررت به وجدد لي ابتهاجا
وذكرك بالجميل لنا جميل يقلدنا ولم نمزج مزاجا
جللت عن التصنع في وداد فلم نر في تودك اعوجاجا
وقد كثر المداجي والمرائي فلا تحفل بمن راءى وداجا
حييت معمراً وجزيت خيراً وعشت لدين ذي التقوى سراجا.[١]

وقيل فيه أيضاً أنه جمع الإمامة والعفة والصدق وحسن الخلق والتعبد والتعشق والخضوع وحسن السمت والصمت عما لا يعنيه وإتباع السلف [٢] وكذلك قال عنه شمس الدين الذهبي (وكان ذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف مع الجلالة والمهابة متعففاً نزه النفس كبير القدر ثخين الورع)[٣].

المطلب الخامس: وفاته ورثاء الناس له

بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل المثمر والنشاط والانجازات العلمية العظيمة حياة جوهرها الصدق والأمانة والإخلاص والسمعة الطيبة والإنسانية ومكارم الأخلاق انتقل القاضي ابو يعلى الحنبلي رحمه الله تعالى إلى جوار ربه لترقد تلك الروح الطاهرة وتحصد جزاء عملها الفاضل وما جنته في الدنيا جزاءً كريماً في الآخرة، وكان ذلك في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان الكريم من عام ٤٥٨هـ حيث وافته المنية في مسقط رأسه ومرباه مدينة بغداد[٤]، ودفن في مقبرة في بغداد وتوقفت الأسواق وعامة الناس عن العمل في ذلك اليوم وقامت له جنازة مهيبة سار فيها جميع أهالي بغداد شيوخاً ورجالاً نساءً وأطفالاً، وكذلك شارك في جنازته أناس من مختلف مناطق ومدن العراق، حيث كانت أعداد الناس لا تعد ولا تحصى في موكب مهيب معبرين عن مصابهم الجلل بفقدهم أحد أعظم أساطين الفقه والشرع في زمانه الذي نال محبة ورضا الناس جميعاً[٥] وكان من الأعلام المشاركين في جنازة أبي يعلى الدامغاني وأبو الفوارس وكان قد أوصى أن يُغسله الشريف أبو جعفر وألا يدفن معه في قبره سوى ما جهزه في حياته من أكفان كان هو قد غزلها وجهزها ومما لا شك فيه أنَّ وفاة القاضي ابو يعلى قد أحدثت صدى عظيم ورحيله شكل

[١] ينظر: طبقات الحنابلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٠٢.
[٢] ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ٨/ ٢٤٤.
[٣] ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١/ ١٦٨.
[٤] ينظر: تاريخ بغداد، مصدر سابق، ٢/ ٢٥٦.
[٥] ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مصدر سابق، ٨/ ٢٤٤.

فراغاً كبيراً وخسارة لا يمكن أن تعوض بالنسبة لطلاب العلم والمعرفة فلا يمكن لأحد أن يحل مكانه ويملأ الفراغ الذي شكله رحيله بالنسبة لهم، وقد رثاه محمد بن المسبع بابوات قائلاً:

مات السدى والندى والمجد والكرم والعالم اليقظ المستبصر العلم

مات الإمام أبو يعلى الذي ندبت لفقده الكعبة الغراء والحرم

يا أيها العالم الحبر الذي كسفت شمس الهدى بعده بل عادها الظلم[١].

المبحث الثاني: حياة القاضي أبو يعلى العلمية

المطلب الأول: طلبه للعلم:

المدينة التي ولد فيها القاضي أبو يعلى رحمه الله هي بغداد، والتي كانت عاصمة الخلافة العباسية حينذاك وقبلة العلماء وأصحاب الفكر حيث كانت مقصداً لهم من كل أصقاع الدنيا، وكثرت فيها المكتبات ويرجع ذلك إلى اهتمام بعض الخلفاء العباسيين باقتناء الكتب وفي تأليف الكتبُ، وقد شجعوا العلماء والمؤلفين على ذلك مكرمين لهم بالعطايا والسخاء، في سبيل ذلك فكانت بغداد بذلك مهوى أفئدة طلاب العلم واجتمع فيها عدد كبير من العلماء[٢] وكان لولادة القاضي في هذه البلدة العظيمة أكبر وأعظم الأثر في تكوينه العلمي ونبوغ عقله وفطنته وذكائه لأنها بيئة خصبة لذلك وكان لها الفضل في حيازته لكثير من أنواع العلوم والمعارف ونضيف إلى ذلك أسرته التي ترعرع فيها فكان لها أكبر الأثر في تكوينه العلمي[٣] ومنذ وفاة والده بدأ ابو يعلى تعلم الفنون المختلفة في الأصول والفروع إلى أن اتصل بالشيخ ابو عبد الله بن حامد فصحبه وتتلمذ على يده وابتدأ تكوين القاضي لروحه الرحمة علمياً منذ صغره وبعد وفاة والده كان القاضي ابو يعلى يجلس إلى شيخ صالح يُعرف (بابن معزحة المقرئ) في أحد المساجد يقرأ القرآن عليه ويتفقه على يده على المذهب الحنبلي ولعلَّ هذا كان ابتداء تحول القاضي رحمه الله إلى دراسة المذهب الحنبلي[٤], وقد كانت أسرة ابو يعلى أسرة علم ومعرفة، فأبوه عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الحنفي وهو أحد العلماء الصالحين والموصوفين بالزهد والورع والتقوى والإيمان وأسند الحديث ودرس الفقه على يد ابو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي المعروف بالجصاص[٥]، وكان من الطلبة النجباء والمكرمين عنده، وقد حدث أن مرض أبو عبد الله مائة يوم وقام الرازي بزيارته حوالي خمسين مرة في مرضه مما يدل على عظيم تقديره واحترامه

[١] ينظر: طبقات الحنابلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٢٢.

[٢] ينظر، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ١٨/ ٨٩.

[٣] ينظر، طبقات الحنابلة، أبو الحسن بن أبي يعلى، مصدر سابق، ٢/ ١٩٦.

[٤] ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامية، بيروت ، ٢٠٠٣م، ١٥/ ١٠١.

[٥] ينظر: الحضرة تشير الى مجلس السلطان او الحاكم، وهو المكان الذي تدار به شؤون الدولة، سير اعلام النبلاء، ٤١٢/٦.

واهتمامه به وعندما شفي من مرضه قال له الرازي معتذراً بأنه قصر في حقه وكان يستحق منه أكثر من ذلك في أن يعوده في مرضه، وقد عرض عليه منصب القضاء فامتنع عنه وقد تحدث عن شمس الدين الذهبي قائلاً (كان من أعيان الحنفية ومن شهود الحضرة)[١]، وقد قضى في سنة (٣٩٠هـ) مخلفاً ورائه ابنه ابو يعلى البالغ من العمر عشر سنين وأما عن جده من ناحية أمه فهو عبيد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق والمعروف بابن جليبقا حيث ولد جده هذا سنة (٣١٨هـ) حيث كان تقياً ورعاً وثقة مأموناً وروى عنه المحاملي وعنه العتيقي والأزهري وحفيده أبو يعلى القاضي وقيل عنه كان ثقة مأموناً حسن الخلق وقال عنه ابن الجوزي(كان صحيح السماع) وثبت الرواية، وقد سلم الأمانة وقضى في شهر رجب سنة(٣٩٠هـ)[٢] ونرى أن القاضي ابو يعلى ورث العلم والمعرفة، والفقه والتقى والورع أباً عن جد فهو من أسرة مشهود لها بالفقه والإيمان وهم من أهل العلم والمعرفة فلا عجباً لغلام نشأ في أسرة كأسرة ابو يعلى الحنبلي أن يصبح من أساطين العلماء في الفقه والشريعة، وأما بالنسبة لنسبه فهي البغدادي نسبة إلى موطنه الذي ولد وعاش فيه وهو بغداد، ولا شك أن أوثق التراجم له وألصقها به ما ترجمه ابنه أبو الحسين في طبقات الحنابلة[٣]، لأنَّ والد ابو يعلى كان فقيهاً على مذهب الأحناف، وفي الغالب أنَّ الولد ينشأ على ما يعلمه والده، ولكن كان لوفاة والده وكذلك سماع الفقه على مذهب الإمام أحمد الأثر الواضح والجلي في تفقه القاضي على المذهب الحنبلي ونبوغه فيه حتى صار إماماً حنبلياً يقتدى بعلمه، وعلماً من أعلام المذهب الحنبلي يهتدى بقوله في هذا المذهب[٤].

المطلب الثاني: تولي القاضي أبو يعلى التدريس

تولى رحمه الله التدريس وهو ما زال في بدايات شبابه ومقتبل العمر وكان أول ما تولى التدريس نيابةً عن شيخه شيخ الحنابلة الحسن بن حامد[٥]، حيث كان الشيخ ينيبه عنه في التدريس ومما لاشك فيه أنَّ أبا يعلى نبغ وأبدع في التحصيل والعلم للدرجة التي جعلت شيخه يثق به فأوكل إليه مهمة التدريس نيابةً عنه وهو في سن صغيرة، وقد روى ابن ابو يعلى أبو الحسين بن ابو يعلى أنَّ أبا عبد الله بن حامد عند خروجه إلى الحج عام ٤٠٢هـ سأله أحدهم عمن يقوم مقامه بالتدريس في غيابه فقال هذا الفتى مشيراً إلى القاضي ابو يعلى، والشيخ ابن حامد لم يرجع من حجه هذا حيث توفي في طريق رجوعه من مكة فتولى بعده القاضي أبو يعلى رحمه الله التدريس وكذلك مشيخة المذهب، فذاع صيته وارتفع شأنه واشتهر كعالمٍ فذ وأصبح

[١] ينظر: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ١٨/ ١٦٨.

[٢] ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي, مصدر سابق, ٣٧٧/١٠.

[٣] ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسن ابن أبي يعلى, مصدر سابق, ١٩٤/٢.

[٤] ينظر: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ١٨/ ٩٥.

[٥] ينظر: الأعلام، مصدر سابق، ٢/ ١٨٧.

مقصداً لطلاب العلم والفقه يقصدونه ليأخذوا عنه العلم[١] وازدحمت حلقة القاضي وامتلأت بطالبي العلم والمعرفة كما يقول ابنه أبو الحسين بن ابو يعلى: (وقد حضر الناس مجلسه وهو يملي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة بجامع المنصور ولكثرة الزحام في مجلسه قيل أنهم سجدوا في حلقة الإملاء على ظهور الناس)[٢] وكانت مدرسته تعج بفطاحل العلماء الكرام الذين حملوا الراية بعد شيخهم الجليل.

المطلب الثالث: تولي القاضي أبو يعلى القضاء:

عندما برز القاضي أبو يعلى وعرف بين الناس بقدره ومكانته العلمية وتقواه وزهده وورعه وإيمانه وصدقه الذي عرف به بين عامة الناس في زمانه قصده الشريف أبو علي بن ابو موسى[٣] ليشهد عند قاضي القضاة ابو عبد الله بن ماكولا[٤] فامتنع عن ذلك ابو يعلى ورفض رفضاً شديداً[٥] ثم كرر الطلب منه بالشهادة وألح وزاد بالإلحاح فشهد عند قاضي القضاة فقبل شهادته، وكان قاضي القضاة يجله ويحترمه وعند وفاة رئيس القضاة ابن ماكولا وأصبح منصب القضاء شاغراً طلب من القاضي ابو يعلى أن يتولى القضاء بدار الخلافة فامتنع عن هذا المنصب، وبعد ذلك وافق بعد الإلحاح وتكرار الطلب منه على ذلك ولكنه وضع عدة شروط لقبوله هذا المنصب وهي ألا يحضر أيام المواكب الشرعية وعدم الخروج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان وفي كل شهر يقصد نهر المعلّى يوماً وباب الأزج يوماً ويستخلف من ينوب عنه في (الحريم) فكان له ذلك[٦], وقد قلد القضاء في الدماء والفروج والأموال وتولى بعد ذلك قضاء حرّان وحلوان إضافة إلى منصبه فاستناب عنه فيهما ولم يكن باستطاعة قاضٍ لوحده أن يقوم بالقضاء في كل هذه الجهات لذلك نرى أبا يعلى قد رد القضاء في عدة أبواب إلى من يثق بهم فجعل على سبيل المثال قضاء باب الأزج إلى الجيلي وعندما تبين له عدم كفاءته قام بعزله من منصبه وجعل النظر في عقود الزواج والأحوال المدنية بالباب المذكور إلى تلميذه ابو عبد الله ابن البقال[٧]،

[١] ينظر: المصدر نفسه، ٦/ ٩٩.

[٢] ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين بن أبي يعلى، مصدر سابق، ٢/ ٢٠٠.

[٣] الشريف أبو علي بن ابي موسى الهاشمي البغدادي، يعد من كبار المذهب الحنبلي، ينظر: طبقات الحنابلة، ٥٥/٢.

[٤] أبو عبدالله الحسين بن علي بن جعفر بن علكان، المعروف بـ ابن ماكولا، كان فقيهاً وقاضياً عرف بلقب ابن ماكولا، ينظر: طبقات الحنابلة، ٤٧١/٤.

[٥] ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي, حيدر أباد: الهند, ١٣٥٧هـ, ١٣٦/٨.

[٦] ينظر: طبقات الحنابلة, مصدر سابق, ١٧٤/٢.

[٧] أبو عبدالله ابن البقال هو احمد بن عبدالله بن سهل، المعروف بـ ابن البقال وهو احد فقهاء المذهب الحنبلي، كان عالماً فاضلاً متمكناً في الفقه، ينظر: طبقات الحنابلة، ٣٤٩/٢.

ووضع في دار الخلافة ونهر المعلى أبا الحسن السيبي وبقي أبو يعلى في هذا المنصب الحساس والخطير إلى أن انتقل إلى جواره تعالى[١].

المطلب الرابع: أهم شيوخه وتلامذته

ذكر أبو الحسين بن ابو يعلى في كتابه طبقات الحنابلة وكذلك الخطيب البغدادي في تاريخه عدداً من شيوخ القاضي ابو يعلى والذين أخذ عنهم وتتلمذ على يدهم ومنهم على سبيل المثال:

١_ الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله البغدادي المتوفى سنة (٤٠٣هـ)[٢].

٢_ الحسين بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله المعروف بابن البغدادي المتوفى سنة (٤٠٤هـ) وكان عظيم الشأن في زمانه من شيوخ الفقه الأفاضل كان ورعاً زاهداً خاشعاً صادقاً فقيهاً من الحنابلة وكان القاضي محمد بن الحسين أبو يعلى روى عنه وقد ثبت أنه تتلمذ على يد شيخه هذا ابن البغدادي في العديد من المصادر والمراجع[٣].

٣_ عبيد الله بن عثمان المعروف بابن جتيقا وهو جد القاضي ابو يعلى أبو أمه وهو عبيد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق كان ورعاً كثير السماع[٤] ثبت الرواية وثقة وصاحب أمانة شيخاً فاضلاً كريم الأخلاق.

٤_ علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن المقرن المعروف بابن الحمامي وهو مقرئ العراق وكان قرأ القراءات وسمع الحديث من شيوخ وعلماء زمانه ومن صفاته كان صدوقاً وفاضلاً وعمل بأسانيد القراءات وعلومها في زمانه وكان صاحب علم ومعرفة وفضل وكان يقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب[٥].

٥_ عيسى أبو القاسم وكان شيخاً زاهداً ثبت السماع من مواليد شهر رمضان سنة (٣٠٢هـ) وللقاضي ابو يعلى شيوخ كثر مذكورين في كتاب الطبقات لابنه وكذلك في سير أعلام النبلاء للذهبي في ترجمة القاضي.[٦]

هذا كل ما سبق عن شيوخ القاضي أبو يعلى وأما عن تلامذته:

من المعلوم أنَّ القاضي تولى التدريس في سن مبكرة كما سبق وأسلفنا، وكذلك مشيخة المذهب عندما ناب في التدريس عن شيخه أبو حامد، ولذلك كثر الدارسون على يديه وانتشروا في جميع أنحاء بلاد المسلمين آنذاك، ومن هؤلاء التلامذة النجباء:

[١] ينظر: طبقات الحنابلة, مصدر سابق, ١٩٩٩/٢.

[٢] ينظر: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ١٨/ ٨٩.

[٣] ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٩/ ٧٣.

[٤] ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٨/ ٨٦٤.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ٩/ ٢٨٥.

[٦] ينظر: تاريخ بغداد: ٢/ ٢٥٦.

١_ الحافظ أحمد بن علي بن ثابت له العديد من المصنفات توفى سنة (٤٦٣هـ)[١].

٢_ أبو الوفا علي بن عقيل البغدادي وهو علم من أعلام الإسلام عالماً فقيهاً أصولياً ومتكلم وافته المنية سنة (٥١٣هـ)[٢].

٣_ أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكولذاني البغدادي من أحد أئمة المذهب الحنبلي[٣].

٤_ أبو الحسين ابن ابو يعلى القاضي الشهيد وهو واضع كتاب طبقات الحنابلة تفقه على يد ابوه وناظر وأفتى ودرس[٤].

٥_ أبو القاسم الشيرازي وهو من الرحالين طلباً للحديث والجوالين في البلدان الإسلامية، وكان حافظاً متيقناً وثقة ورجل صالح وخيّراً ورعاً طيب السمعة والسيرة وكثير التعبد، وكان قد خرج الأحاديث وقد سمع من ابو يعلى بن الفراء[٥].

المطلب الخامس: أهم مؤلفاته وتصانيفه

كانت مسيرة القاضي ابو يعلى زاخرة بالعلم والمعرفة ترك لنا الكثير من التصانيف والمؤلفات فقد صنف في لأصول والفروع وكانت تصانيفه سهلة الفهم واضحة واتسم بالإجادة والسهولة في تصانيفه[٦] وعلى الرغم من غزارة إنتاجه الفكري لم يصلنا إلا القليل من مؤلفاته ومنها:

١_ مؤلفاته في العقيدة: مسائل الإيمان والمعتمد، مختصر المعتمد في أصول الدين، الرد على الكرامية، الرد على الباطنية، الرد على الجهمية، إبطال التأويلات لأخبار الصفات وغيرها.

٢_ مؤلفاته في أصول الفقه: العدة في أصول الفقه وجزء منه موضوع بحثنا، مختصر العدة، الكفاية في أصول الفقه وغيرها.

٣_ مؤلفاته في الفقه: مختصر في الصيام، شرح المذهب، الجامع الصغير وغيرها.

٤_ مؤلفاته في الحديث: الأمالي، الفوائد الصحاح العوالي.

٥_ مؤلفاته في القرآن وعلومه: أحكام القرآن، نقل القرآن وغير ذلك[٧].

[١] ينظر: الأعلام: ١/ ١٧٢.

[٢] ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٣٣.

[٣] ينظر: الاعلام: ٥/ ٢٩١ .

[٤] ينظر: سير اعلام النبلاء: ١٩/ ٦٠١.

[٥] ينظر: الاعلام: ٨/ ٧٣ .

[٦] ينظر: طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٠٥.

[٧] ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٧.

نتائج البحث:

١/ من الصفات الجميلة والمحمودة للقاضي أبي يعلى: تحليه بالتقوى والزهد والورع والإيمان والخشية من الله عز وجل وكذلك العفة والطهارة بالإضافة إلى الصبر والتحمل.

٢/ انعكست البيئة التي ولد فيها القاضي أبي يعلى الحنبلي وهي مدينة بغداد على حياته العلمية الزاخرة بدرجة كبيرة.

٣/ تصانيف العالم أبي يعلى الحنبلي سهلة الفهم واضحة الدلالة غزيرة بالعلم والمعرفة.

المصادر

القرآن الكريم

١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

٢. بذل النظر في الأصول، العلاء محمد بن عبد الحميد الأسمندي (٥٥٢ هـ) حققه وعلق عليه: الدكتور محمد زكي عبد البر، الناشر: مكتبة التراث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٣. التلخيص في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٥. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٦. الرسالة للقيرواني: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (ت ٣٨٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

٧. الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ هـ – ٢٠٤ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر.

٨. الشرح الكبير لمختصر الأصول: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٩. صحيح البخاري : أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.

١٠. العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

١١. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٢. قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل

١٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

١٤. المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، باشر تصحيحه: جمع من أفاضل العلماء، الناشر: مطبعة السعادة – مصر، وصوّرَتها: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

١٥. المحيط البرهاني في الفقه النعماني: برهان الدين أبو المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (ت ٦١٦ هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٦. المعتمد: أبو الحسين محمد بن علي الطيب البَصْري المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ – ١٠٤٤ م)، قدم له وضبطه: خليل الميس (مدير أزهر لبنان)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

١٧. المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٨. الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م (٣/ ٢٣٥)

١٩. النتف في الفتاوى للسغدي: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّغْدي، (ت ٤٦١ هـ ببخارى)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: (مؤسسة الرسالة – بيروت)، (دار الفرقان – عمان)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٢٠. نهاية المطلب في دراية المذهب: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.